سبب كتابة شيخ الإسلام ابن تيمية للوصية الكبرى

..... كان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كثيرا ما يتعاهد تلامذته بالنصائح، وبالوصايا من كتابات أو تذكير أو إرشادات أو نحوها. ولما كان في مصر إنه ذهب إلى مصر في سنة سبعمائة وخمس، وبقي إلى سنة اثنتي عشرة وسبعمائة، في هذه المدة التقى بهؤلاء التلاميذ الذين هم أتباع عدي بن مسافر وخاف عليهم من أن يركنوا إلى المبتدعة وإلى المتصوفة، وأن يقع فيهم الغلو في إمامهم عدي كما وقع الغلو في غيره من الصوفية؛ فكتب إليهم هذه الوصية وضمنها ملخص العقيدة، ولو كان قد بسط فيها بعض الأدلة، ولكنه أوضح الأدلة التي بسطها بما ذكره من الآيات والأحاديث، وذكر العقيدة مجملة، يعني نوع إجمال، وإن كان فيها شيء من التفصيل بالنسبة إلى غيرها من العقائد. فالحاصل أن هذه الوصية التي سميت بالوصية الكبرى أنها من جملة نصائحه التي كتبها لبعض من أشفق عليهم من الانحراف ومن الغلو، وقد وقع الغلو في كثير من هؤلاء المتبوعين، ولا يزال إلى الآن المتصوفة يبالغون ويغلون في كثيرمن ساداتهم، ويصرون على ذلك السيد الذي غلوا فيه، مثل: التيجانية فإنهم غلوا في سيدهم الذي يقال له التيجاني والنقشبندية غلوا أيضا في متبوع لهم يقال له النقشبندي والرفاعية غلوا في الرفاعي وكذلك القادرية أو الجيلانية غلوا في الجيلاني عبد القادر ورفعوه إلى أن جعلوه إلها، أو متصرفا في الكون؛ فخشي على هؤلاء -الذين هم تلامذة وأتباع لهذا العالم الذي هو عدي بن مسافر وبين ما يجب أن يكونوا عليه، يعني: الواجب عليكم -وأنتم تفتخرون بأنكم أتباعه- أن ترجعوا إلى الأصلين، والدليلين الثابتين وهما الكتاب والسنة. وأكد في الاستدلال بالكتاب والسنة، وذكر عقيدة السلف، وأنها متوسطة بين طرفين بين طرفي إفراط وتفريط، وبين طرفي غلو وتقصير، وخير الأمور أوساطها. ثم ذكر في هذه الوصية كما ذكر أيضا في العقيدة الواسطية: أن أهل السنة وسط في فرق الأمة، كما أن الأمة وسط في الأمم قبلها لا غلو ولا جفاء، فإذا توسطوا وعرفوا ما هم مخاطبون به، وما هم مأمرون به، واتبعوا الدليل فهم على سبيل النجاة. هذا هو مضمون هذه الوصية التي تعرض فيها لبعض الأسماء والصفات، وتعرض فيها للقرآن وما قيل فيه، وللبعث والنشور والجزاء على الأعمال، واليوم الآخر وما يلزم الإيمان به، وللقضاء والقدر، ولأسماء الإيمان والدين، وما أشبه ذلك مما تعرض له، ومما مر بنا بعضه، وسوف يأتينا -إن شاء الله- ما يتعلق بباقيه. نستمع الآن إلى كلام شيخ الإسلام.